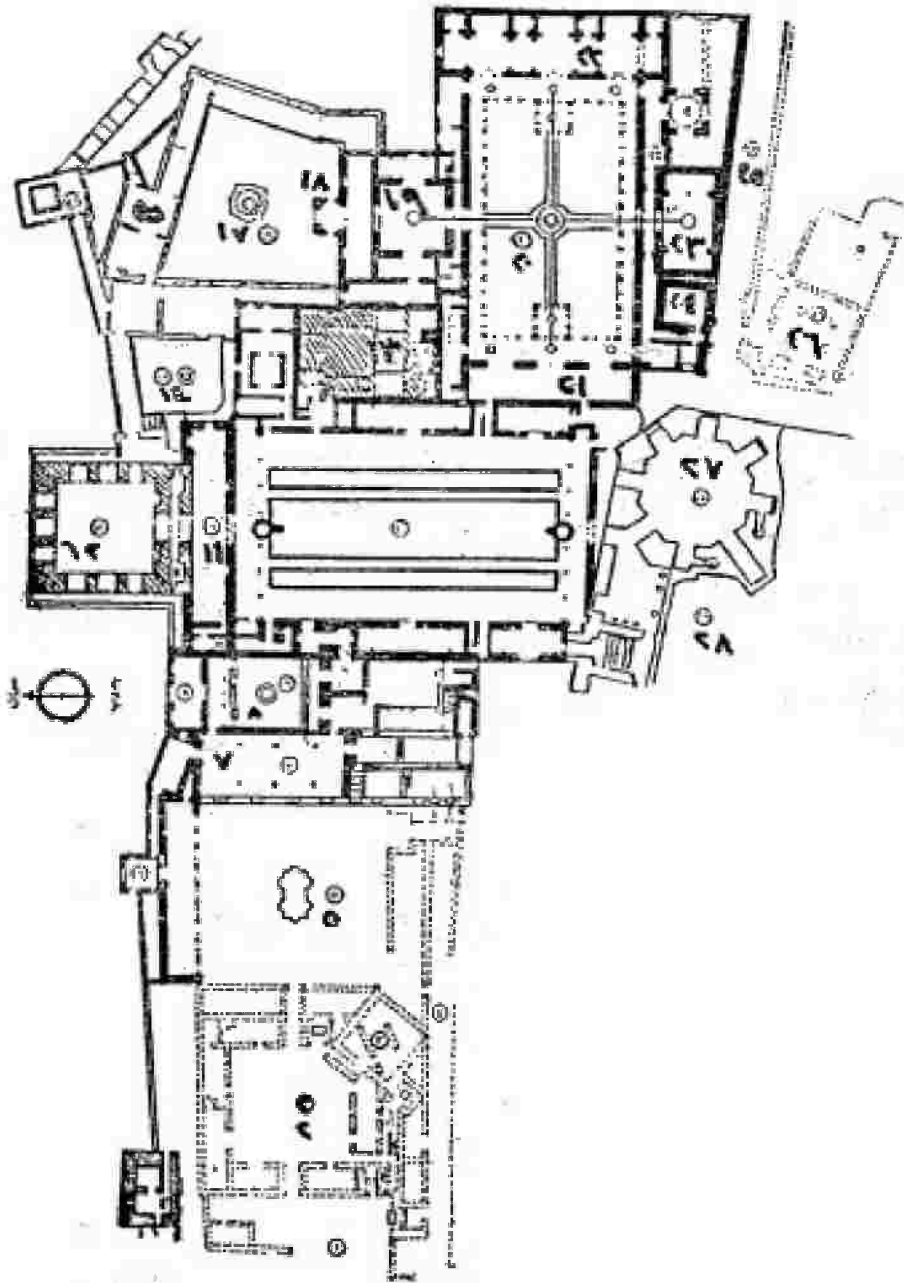


الفصل الثالث
الحمراء قبل القرن
السابع الهجرى = ١٣م

غرناطة وآثارها الطائفة:

- (١) المدخل الحالى لقصر الحمراء . (٢) الساحة الأولى .
(٣) أنقاض المسجد . (٤) دهليز .
(٥) ساحة المعشوقة . (٦) برج المعشوقة .
(٧) المنشور . (٨) ساحة قاعة الذهب .
(٩) قاعة الذهب . (١٠) ساحة قمارش أو الريحان .
(١١) قاعة البركة . (١٢) قاعة قمارش .
(١٣) الحمام الملكى . (١٤) ساحة الملكة .
(١٥) قاعات شارل الخامس . (١٦) برج الشرفات .
(١٧) حديقة . (١٨) منظره .
(١٩) قاعة السيدات . (٢٠) ساحة الأسود .
(٢١) قاعة المقرصات . (٢٢) قاعة الملوك .
(٢٣) قاعة بنى سراج . (٢٤) الجب .
(٢٥) الخندق . (٢٦) الروضة .
(٢٧) الكنيسة الجديدة وقصر شارل الخامس .
(٢٨) قصر شارل الخامس .



- مسقط الفى لقصر الحما -

الحمراء قبل القرن السابع الهجرى - ١٣م

تكاد تتفق كلمة معظم مؤرخى الحمراء، على أن هذا الاسم عرف به القصر فى نهاية القرن الثالث الهجرى المقابل القرن التاسع الميلادى. وكان يطلق على حصن صغير لجأ إليه العرب الفارون أمام الفلاحين الثائرين الذين طوردوا فى أثناء الفتن التى شبت خلال حكم الأمير عبد الله الأموى وكان هذا الحصن قد شيد عند طرف هضبة السبيكة الغربى. وفى أيام بنى نصر امتدت مبانى الحمراء فوق الهضبة كلها. وإن هذا الحصن الصغير الذى شيد فى نهاية القرن ٣هـ = ٩م، يغلب أنه هجر فى نهاية أيام الخلافة. وفى أوائل النصف الأول للقرن ٥هـ = ١١م: أعيد بناؤه واتسعت أرجاؤه ففى أيام الوزير صامويل بن نجرلو اليهودى فيما بين ٤٤٣هـ = ١٠٥٢م، ٤٤٧هـ = ١٠٥٦م. ثم نهض الأمير الزيرى عبد الله بتحسينه، بعد أن تأثر بما شاهده فى قصر بليوس المسيحى الذى استولى عليه.

ذكر هذا الحصن عدة مرات فى أثناء الصراع بين الأمراء الإشبانيين والمرابطين والموحدين. وقد كانت مساحته صغيرة، والدليل على ذلك أن فرق ابن حمشق اضطرت لأن تعسكر خارج أسواره. وتدل بعض مخلفات جدرانها وأبراجه المجاورة لمبنى الحمراء «الحديث» على ضعف بنيانه وبساطة مواده التى شيد بها.

ولما دخل محمد بن الأحمر غرناطة فى رمضان ٦٣٥هـ = مايو ١٢٣٨م أقام فى قصبة بنى زيرى التى كانت فى مدينة غرناطة نفسها. لكنه لم يدخر وسعاً فى إنشاء قصر الحمراء فى أسرع وقت مستطاع. وقد بدئ بالعمل فيه بعد أشهر قلائل من دخول غرناطة. وكان المبنى الجديد يختلف اختلافاً بيناً عن الحصن القديم، فى أغراضه وسعته وفخامته. فالحمراء أكثر من حصن وقصر معاً. إنه مدينة ملوكية كاملة، وقاعدة الحكومة النصرىة، كما كانت مدينة الزهراء، والمدينة الزاهرة وقصبة الموحدين فى مراكش.

وكان فى مقابل الحى التجارى للمدينة: قصبة أخرى، عدل بناؤها وأضيفت إليه مبان أخرى لتسع حاجة النصرىين بعد تأسيس ملكهم الجديد. ولقد احتوت بالإضافة إلى القصور الملكية، على المصالح الحكومية الإدارية ودار الضرب وثكنات الحرس وكبار الموظفين وكل ما يحتاج إليه الخدم والأتباع، وما يحتاج إليه أهل المدينة من المصانع والخوانيت والمسجد الكبير والحمامات..

وكان المنظر الطبعى الذى يضم القصبة والقصر والمدينة كامل الروعة تطل جميعاً على نهر حدارة (دارو) عند التقائه مع نهر شنيل، وتل السبكة أو الدور الصغىرة التى تفيد القصور. أما مشيد الأسوار الخارجىة، فهو محمد الأول ومحمد الثانى. وفى القرن ٨هـ / ١٤م فى أثناء حكم يوسف الأول (٧٣٣ - ١٣٣٣/٥٥ - ١٣٥٤) شيدت أبراج قمارش، وبرج المطرقة والقنديل، والأبواب الكبرى الثلاثة: باب الشرىة، باب الطباق الثلاثة، وباب السلاح. أما برج المتزىن (Peinador) فقد أتمه السلطان محمد الخامس.

وعلى ذلك يمكن القول بأن الأسوار المحيطة بأعلى الهضبة أخذت شكلها النهائي فى منتصف القرن ٨هـ - ١٤م وقد قنع السلاطين الذين تولوا الحكم بعد ذلك ببناء قواعد المدافع ضد تهديدات ملوك النصارى خلال القرن الخامس عشر، وقد شيدت تلك المصاطب (القواعد) عند أسفل البوابات الثلاث الكبرى.

وثلاثة من أبواب الحمراء وهى: الشريعة، والطباق الثلاثة، والقمم المسننة، تؤدى إلى الخارج (تفتح على الخارج). أما باب السلاح، فهو وحده الذى يصل الحمراء بالمدينة.

ولأبواب الحمراء نسب معيارية ضخمة من كتل المباني الحجرية وتتضمن الدهاليز المقبأة ذوات الانشاءات والتعرجات الكثيرة وأحياناً تتقاطع وهى تعتبر من أرقى نماذج الأبواب فى العمارة العسكرية. ولباب الشريعة وهو خال من الأبراج عقد جميل ودعامات عالية.

أما الأبواب الأخرى فلا تختلف كثيراً عن معظم الأبواب الكبرى التى شيدها الموحدون أو المرينيون فى مراكش، ولا سيما عندما يكون لها برجان. وللأسوار الخارجية العالية ممشى للحرس له دورة تعلوها الشرفات. ولا يخفى أن توزيع الأبراج فى الأسوار غير متساو، فهى مقامة عند مسافات مختلفة: وتتوسط المسافة بين البرج والآخر قرابة خمسين متراً.

قلنا أن لبعض الأبراج طباقاً عالية وهذه تشتمل على قاعات كبيرة، من أهمها قاعة العرش أو قاعة السفراء التى تشغل الطابق العلوى فى برج مربع وكبير. ولهذه القاعة ومثيلاتها نوافذ كبيرة تطل على غرناطة وعلى البرج.

وعند هذا النشز الرائع تنتهى جبال سييرانفادا . ولقد تغنى شعراء غرناطة بجمال هذا الموقع الخلاب الذى يجمع الجبال والوديان والسهول والأنهار والغابات ، تتوسطها الهضبة التى ارتفعت عليها مباني الحمراء . تلك الهضبة التى امتدت طولاً قرابة ٤٧٠ متراً، وعرضاً حوالى ٢٢٠ متراً.

بدأ العمل فى تشييد قنطرة كبيرة لنقل المياه من الجبال المجاورة إلى الهضبة، وكانت المياه متوافرة فى كل مكان بالمدينة وفى قصور النصريين . . الماء . . الماء الذى خلق الله منه كل شىء حى . والمعروف أن جميع مباني الحمراء لم ينته العمل منها فى أيام محمد بن الأحمر بل انتهت فى أيام ابنه الأمير محمد الثانى (٦٧١ - ٧٠١ / ١٢٧٣ - ١٣٠٢) ومنذ ذلك الحين لم يغير ملوك النصريين قاعدتهم الفخمة حتى غادروا نهائياً عام ١٤٩٢م .

والحمراء قبل أى شىء حصن منيع . إن هذا الحصن ذا الأسوار والأبراج المنيعة الذى يحيط بالحمراء من أقوى وأروع ما عرف فى فن العمارة الحربى، إنه وحده يستحق العناية والدراسة . والفناء الكبير الذى تضمه الساحة فى الداخل والذى ينحدر على كلا الجانبين من الهضبة، كان مقسماً إلى ثلاثة أجزاء: فالإلى الغرب يقع مجمع من التحصينات المترابطة المتماسكة: أعنى القصبة وفى أعلى جزء كانت تقع مباني قصور الحمراء، وعلى السفوح المنحدرة للهضبة والتى تمتد فى ناحية الشرق كانت تقع مدينة غرناطة.

حصن الحمراء وأسواره:

فى طرف التل، المواجه Vega تقع القصبة حصنً منيعاً، مستقلة تماماً عن بقية الحمراء . اشتملت على مساحة كبيرة كأرض لتدريب الجند للعرض، أقيمت فيها بعض الدور الصغرى بعد ذلك، ويحيط بهذه المساحة سور منيع

مثلث الشكل، ويشتمل على ستائر من الجدران المرتفعة، تكتنفها الأبراج وتدعمها ثلاثة أبراج شامخة ومقبة وإلى الشرق سور خارجي آخر. ولهذه القسبة بوابتها الكبرى المؤدية إلى الخارج.

أما الأسوار التي تحيط بقصور الحمراء كلها والتي تكملها القسبة طبعاً في ناحية الغرب فهي منيعة ومشيدة بالحجارة القوية وتتألف من جدار واحد فقط. وهذه الأسوار عالية: تكتنفها الأبراج الكبرى وعددها ثلاثة وعشرون. أبراج كبيرة، الطابق العلوى لمعظمها يحتوى على الردهات وسنجمع في الثبب الآتى أبراج الحمراء:

أبراج الحصن (القسبة) المحيطة بالحمراء:

نذكر فيما يلى أهم أبراج القسبة وأبوابها، ويلاحظ أن أسماءها ليست من وضع الأندلسيين، ولكن أطلق الإسبان هذه الأسماء عليها.

١ - برج الحراسة (تورى دى لافىلا).

٢ - باب السلاح.

٣ - برج التكريم (تورى أوميناخ).

٤ - البرج المهذوم (تورى كيرادا).

٥ - برج الدراق (تورى دى أدارجيرو).

٦ - باب الشريعة

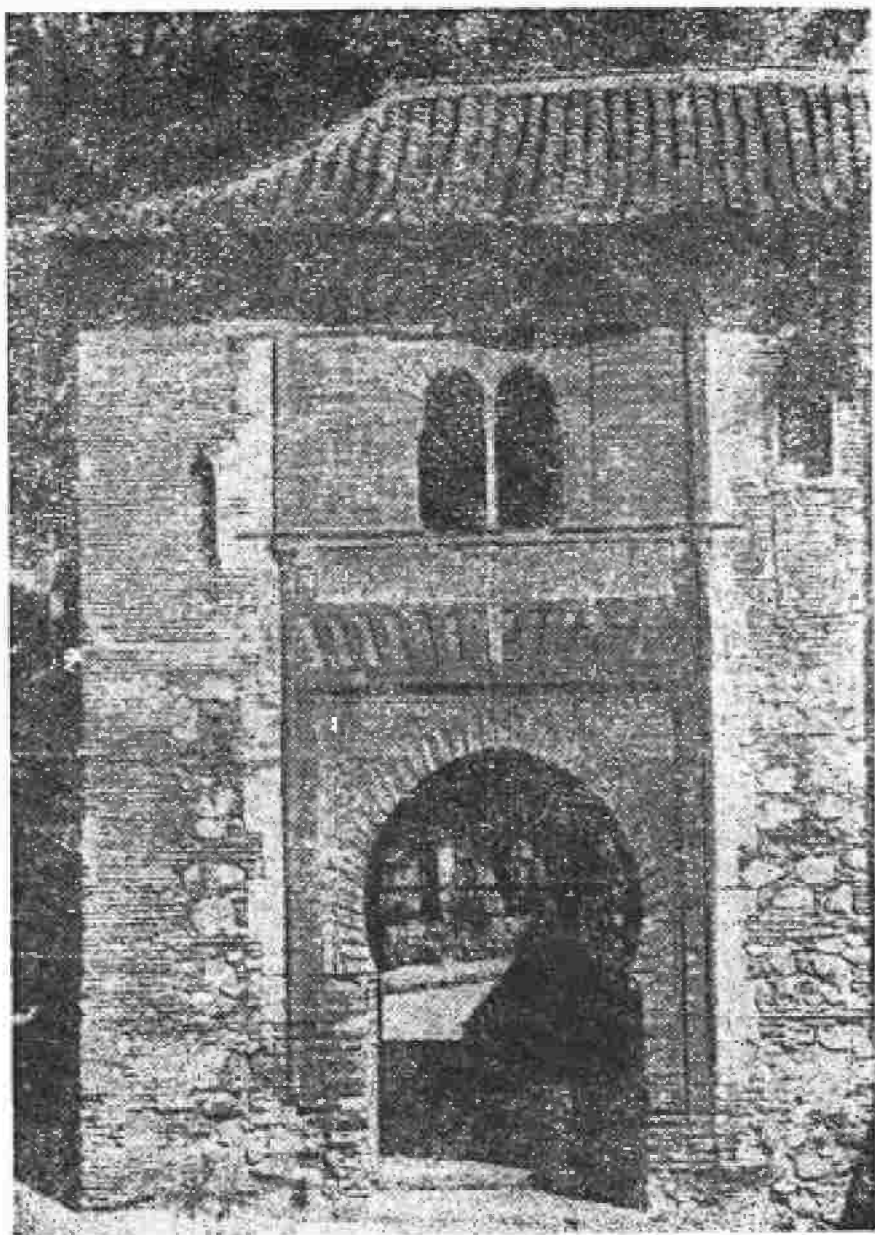
٧ - باب النبىذ.

٨ - برج المطرقة.

- ٩ - بهو قمارش .
- ١٠ - برج قمارش .
- ١١ - برج متزين الملكة (بيننا دور دى لاريننا) .
- ١٢ - برج النساء (تورى دى لاس داماس) .
- ١٣ - برج البرطل .
- ١٤ - برج القمم المسننة (تورى دى لاس بيكوس) .
- ١٥ - باب الحديد .
- ١٦ - برج القنديل .
- ١٧ - برج الأسيرة (برج أبى الحجاج) .
- ١٨ - برج الأميرات (تورى دى لاس انفانتاس) .
- ١٩ - برج الماء .
- ٢٠ - برج الطباق السبع (تورى دى سييتى سويلوس) أو برج الغندور .
- ٢١ - برج الطليعة (تورى دى لا أتاليا) .
- ٢٢ - برج الرءوس (تورى دى لاس كايثاس) .

نقوش برج الأسيرة:

احتفظ هذا البرج من خارجه بمظهره الأصىلى وله باب فخم نقش على عتبته هذه الكتابة:



الواجهة الزرية لباب التبلد

« . . الباسل أبى عبد الله الغنى بالله، ابن مولانا أمير المسلمين السلطان الجليل، الملك الأصيل، ذو المحامد والمناقب، والعطايا الجزيلة والمواهب، الحامى الديار، القامع أعداء الله الكفار، أبى الحجاج ابن مولانا السلطان المعظم». وفى إحدى غرف البرج، نقرأ الآية الكريمة: «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً. . .».

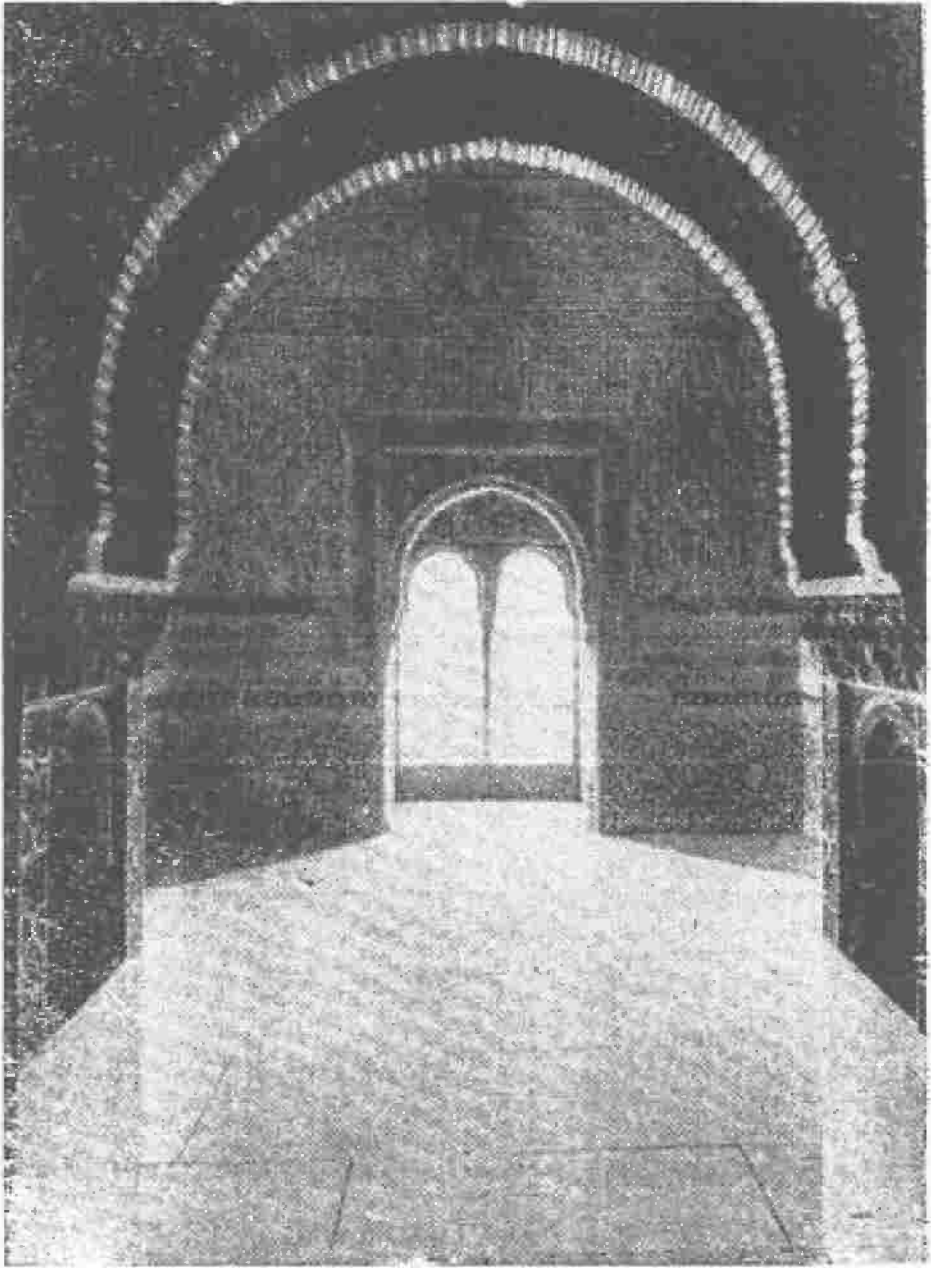
وفى البرج الذى يليه من ناحية الشرق، وهو برج الأميرات نقوش بالدعاء للسلطان أبى عبد الله المستغنى بالله وهو على الأغلب السلطان محمد الغنى بالله.

والمعروف أن تلك المجموعة الرائعة من التحصينات التى شيدها السلاطين النصريون لم تهاجم، فقد كانت الغزوات النصرانية ضد غرناطة تقف أمام أسوار المدينة الخارجية دون أن تتعرض للهجمات العنيفة أو للحصار القوى. حتى نصل إلى الحصار الأخير الذى أدى إلى سقوط غرناطة فى ١٤٩١/١٤٩٢ وتسليمها إلى الملكين الكاثوليكين فى ٢ يناير ١٤٩٢ م. وفى أعقاب لتسليم، دخل فرديناند وإيزابيلا إلى الحمراء فى ٦ يناير. ويمكن القول بأن حصون الحمراء وقصورها سلما من التخريب والتدمير إلى حد كبير.

باب الشريعة:

باب الشريعة هو المدخل الرئيسى لقصر الحمراء اليوم. نقش على قوسه سطران، كتب فيهما بخط أندلسى متشابك، العبارات الآتية:

«أمر ببناء هذا الباب المسمى باب الشريعة، أسعد الله به شريعة الإسلام كما جعله فخراً باقياً على الأيام، مولانا أمير المسلمين السلطان المجاهد العادل أبو الحجاج يوسف ابن مولانا السلطان المجاهد المقدس أبى الوليد ابن نصر



برج الأسيرة من الداخل

كافى الله فى الإسلام صنائعه الزاكية وتقبل أعماله الجهادية، فتيسر ذلك فى شهر المولد المعظم من عام تسعة وأربعين وسبعمائة، جعله الله عزة وافية وكتبه فى الأعمال الصالحة الباقية...».

يقابل هذا التاريخ ٧٤٩هـ سنة ١٣٤٨م، والسلطان يوسف أبو الحجاج هو أعظم سلاطين مملكة غرناطة، (حكم من ١٣٣٣ - ١٣٥٤) وقد شيد أفخم أجنحة الحمراء وأجملها.

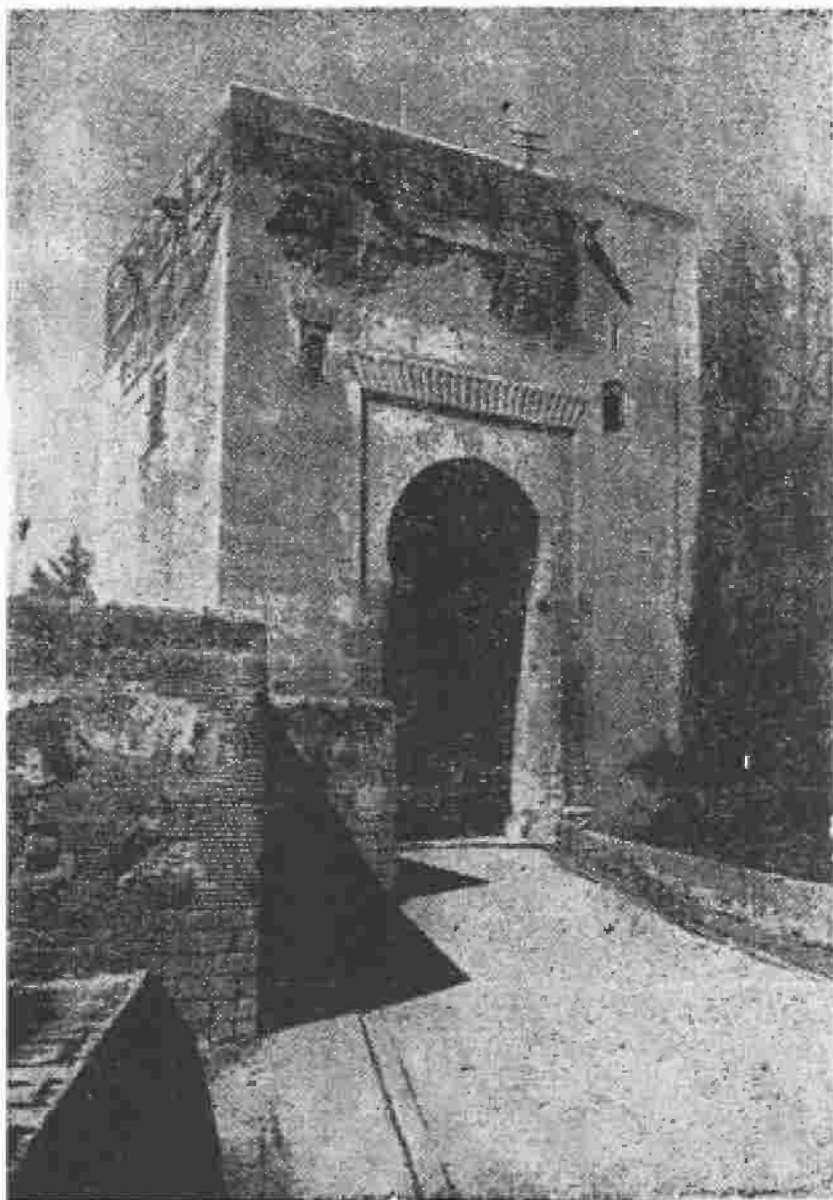
ووراء باب الشريعة مجاز معقود، به فى الناحية اليمنى محراب، وفى نهايته مصلى وقد صنعت به لوحة رخامية أشير فيها إلى حصار غرناطة، وتسليمها للملكين الكاثوليكين، فرديناند وإيزابيلا فى ٢ يناير ١٤٩٢م.

ثم نصل إلى باب الخمر وهو اسم مستحدث:

ويتوج هذا الباب نص تاريخى يتضمن اسم السلطان الغنى بالله ابن السلطان أبى الحجاج الذى شيد باب الشريعة.

وعند خروجنا من باب الخمر، نجد أنفسنا فى ميدان الحب، وعلى يميننا قصر شارل الخامس الذى هدم من أجل إقامته جانب من قصور الحمراء. وعلى اليسار نشاهد قصبة الحمراء.

قلنا إن معظم مباني الحمراء القائمة اليوم، يرجع الفضل فى إنشائها إلى السلطان أبى الحجاج يوسف بن أبى الوليد إسماعيل سابع سلاطين بنى نصر. وهو الذى شيد أيضاً باب الشريعة (المؤدى إلى الشارع) ومنه نعبّر إلى ساحة الحب (صهريج المياه) وباب الشريعة بوابة يتمثل فيها الأسلوب المعمارى العربى يرتفع قرابة خمس عشر متراً يؤدى إلى وسط مباني الحمراء، إلى



باب الشريعة

الميدان الواقع بين القسم الحربى من مبانيها أى الأبراج ، والقسم المدنى وهى الدور والحدائق ودواوين الدولة .

وللأستاذ الدكتور حسين مؤنس رأى فى تسمية باب الشريعة فهو يرى أن المقصود بالشريعة هنا ليست الشريعة الإسلامية، بل المقصود الشارع (الطريق).

يدخل الزائرون - اليوم - إلى قصور الحمراء عن طريق ممر يشبه المنزل يؤدي إلى دهليز قصير، ومعه تصل إلى قاعة المشور.

وهذا الجزء الذى ندخله، لم يكن أهل غرناطة يدخلون منه لأن القاعة التى تعرف الآن بالمشور كانت وسط سلسلة من القاعات والأبهاء، تهدمت كلها. وكان أهل غرناطة يدخلون من باب آخر فى نهاية ميدان الجب.

قصور الحمراء:

إن قصور الحمراء التى يحظى العالم بمشاهدتها ليست هى التى شيدت فى القرن ٧ هـ - ١٣م، تلك خربت فى القرن الثامن، لتقوم فى مكانها هذه القصور المستحدثة التى بقيت إلى اليوم. وهناك مجموعة من مباني الحمراء، كانت تقع فى الغرب ودمرت منذ زمن وقد كشفت التنقيبات منذ سنوات عن أسسها، ويبدو منها فناء مربع، تطل عليه عدة قاعات صغيرة، وإلى جانبها مسجد (مصلى) صغير. وهذا المسكن الساذج نسبياً كان يتبعه ساحة كبيرة عرفت بساحة المطرقة، يحده شمالاً سقيفة تؤدي إلى ردهة كبيرة تقع فى أعلى أحد الأبراج المتصلة بالسور المحيط بالحمراء.

تلك هى مجموعة المباني التى اندثرت. أما القصور الحالية فتتألف من

مجموعتين آخرين، شيد كل مجموعة حول مساحتين على محاور عمودية كبرى. فالمجموعة الأولى وهى دور قمارش يسبقها بهو المشور، وساحة صغيرة، وقد شيد البناء السلطان يوسف الأول (٧٣٣ - ٥٥ / ١٣٣٣ - ٥٤). أما المجموعة الثانية فهى قصر السباع وقد شيده محمد الخامس (٧٥٥ - ٩ / ١٣٥٤) و(٧٦٩ - ٩٤هـ) / (١٣٦٨ / ٩٢). وهناك بعض الحمامات القديمة ومسجد يصل بين المجموعتين المذكرتين اللتين شيدتا فى القرن الرابع عشر.

المشور:

تم إنشاء المشور سنة ١٣٦٥، كما تشهد أبيات للوزير ابن زمرك شاعر الحمراء^(١) وهو المكان الذى خصص فى القصر للموظفين الذين يعاونون السلطان فى إدارة شئون دولته. لقد تغيرت سماته الرئيسية ولم يبق منها سوى بعض زخارفه الجصية وفسيفسائه الرخامية وفى شعار بنى الأحمر وبعض ما تبقى من النقوش العربية وأهم ما تبقى من المشور، قاعته الكبرى وفيها نقش باسم السلطان محمد الملقب بالغنى بالله، تضمنته أبيات الشعر التالية:

يا منصب الملك الرفيع

ومحرز الشكل البديع

فتحت للفتح المبين

وحسن صنع أو صنع

(١) نظم ابن زمرك قصيدة رائعة تناول الحمراء، تعتبر من أجمل ما نظم الشعراء فى وصف المباني، جاء نصها فى كتاب «أزهار الرياض» للمقرئ جـ ٢ ص ٦٥ وما بعدها.

أثر الإمام محمد

ظل الإله على الجميع

وتوجد خلف هذه القاعة «مصلى» تحتفظ إلى اليوم بمحرابها الجميل،
وتتوجه عبارة منقوشة بخط كوفى: «أقبل على صلاتك ولا تكن من
الغافلين».

وفى المشور «القاعة المذهبة» نسبة إلى الزخارف المذهبة التى ازدانت بها.
وهناك ساحة إلى جنوبها تقع سقيفة تحتها بابان: الأيسر منهما يؤدى إلى قاعة
صغيرة تقود الزائر إلى بهو الرياح، والباب الأيمن يؤدى إلى المدخل الأسمى
للقصر وقد سدت معالمه اليوم، وفوق الباب ذى الدفتين طراز من الخشب
نقشت عليه تلك الأبيات:

منصبى تاج وبابى مفرق

يحسب المغرب فى المشرق

والغنى بالله أوصانى أن

أشرع الفتحة لفتح يطرق^(١)

فأنا منتظر طلعتة

مثل ما يبدى الصباح الأفق

أحسن الله له الصنع كما

حسن الخلق له والخلق

(١) قرأ أحدهم الكلمتين الأخيرتين بالسيف المعلق.

وأبيات ابن زمرك التي وصف فيها قاعة المشور، تعتبر الوصف الوحيد
الباقى بين أيدينا لهذه القاعة، كما كانت عندما فرغت من إنشائها يد الفنان:

به البهو قد حاز البهاء وقد غدا

به القصر آفاق السماء مباهيا

وكم حلة قد جللته بحليها

من الوشى تنسى السابرى اليمانيا

وكم من قسى^(١) فى ذراه ترفعت

على عمد بالنور باتت حواليا

فتحسبها الأفلاك دارت قسيها

تظل عمود الصبح إذ لاح باديا

سوارى قد جاءت بكل غريبة

فطارت به الأمثال تجرى سواريا

به المرمـر قد شف نوره

فيجلو من الظلماء ما كان داجيا

إذا ما أضاءت بالشعاع تخالها

على عظم الأجرام منها لآليا

(١) هى أقواس صغيرة قامت عليها قبة سقف المشور وقد زالت تلك القبة الآن.

ساحة الريحان^(١):

إنها أعجب ما فى الحمراء جميعاً، تتوسطه بركة مستطيلة وأحواض تحف بجوانبها أشجار الريحان، بناها محمد الخامس ونقشت فى زوايا ساحة الريحان العبارة الآتية: «النصر والتمكين، والفتح المبين لمولانا أبى عبد الله أمير المؤمنين». والآية: «وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم».

ونقشت على الفريز الرخامى الأوسط للساحة قصيدة من اثنى عشر بيتاً ركيكة، بها أغلاط كثيرة لأنها من صنع محدث، نقلت تحت إشراف الأثريين الإسبان فتسربت إليها عند النقل أغلاط كثيرة. وفيما يلى مطلع القصيدة:

تبارك من ولاك أمر عباده

فأولى بك الإسلام فضلاً وأنعماً

فكم بلدة للكفر صبحت أهلها

وأمسيت فى أعمارها متحكماً^(٢)

ومنها عن يمين الباب الشمالى المؤدى إلى البهو المجاور:

(١) Patio de Alberca - Patio de los Arrayanes .

(٢) يلى هذا البيت، الأبيات الآتية:

وطوقتهم طوق الاسار فأصبحوا

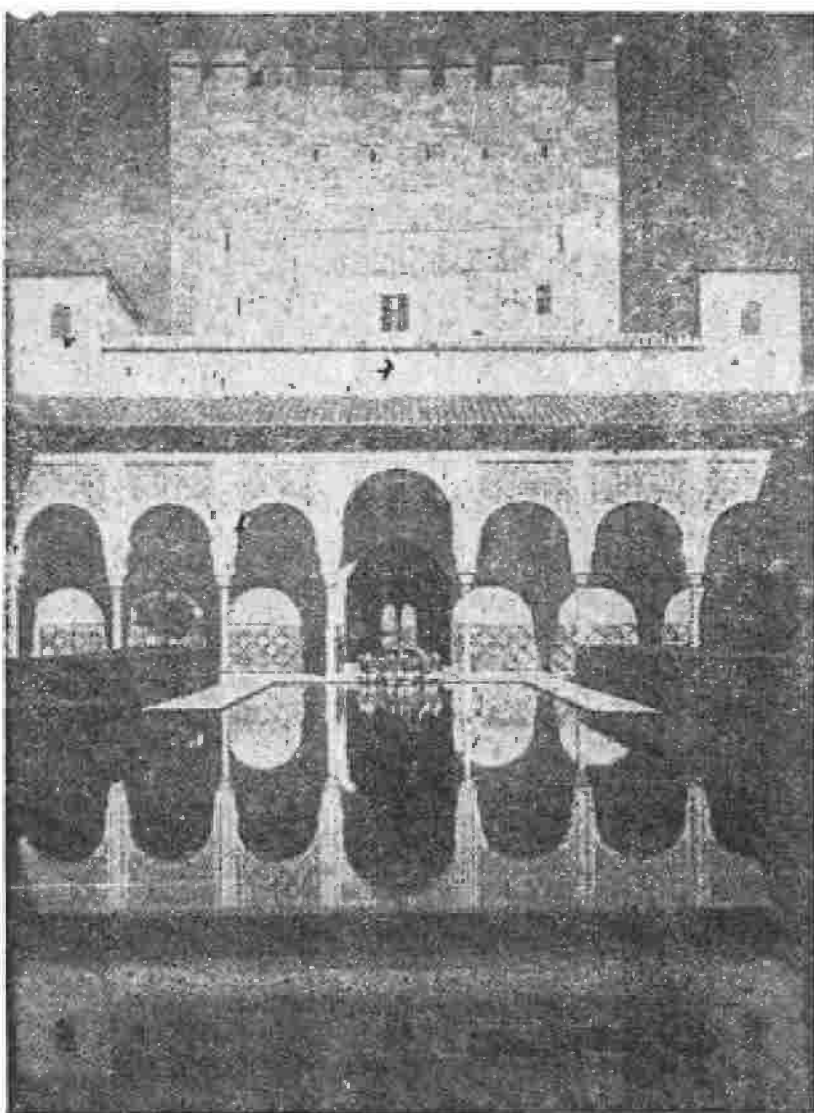
ببوابك بينون القصور تخدمنا

وفتحت بالسيف الجزيرة عنوة

ففتحت بابا كان للنصر مبهما

ومن قبلها استفتحت عشرين معقلا

وصيرت ما فيها لجيشك مغنما



ساحة الريحان

ولو خير الإسلام فيما يريده

لما اختار إلا أن تعيش وتسلما

وتلك آثارها فى كل مكرمة

أبدى وأوضح بدرا إذا انتظما

وعن يسار الباب :

فيا ابن العلى والحلم والبأس والندى

ومن فاق آفاق النجوم إذا أنتما

طلعت بأفق الملك رحمة

ليجلو ما قد كان بالظلم أظلما

فأمنت حتى الغصن من نفحة الصبا

وأرهبت حتى النجو فى كبد السما

فإن رعشت زهر النجوم مخيفة

وإن سال غصن البان شكرك يما

وقد نقشت فوق الأبيات وتحتها عبارة: «لا غالب إلا الله» باستمرار.

ويفضى باب ساحة الريحان الشمالى إلى بهو صغير يسمى بهو البركة،

به قبلة زينت بنقوش جميلة، وقد نقش على جانبها الأيمن:

أنا مـجـلـة عـروس

ذات حسن وكمال

فانظر الإبريق تعرف

فضل صديقى فى مقال

واعتبر تاجى تجده

شبهها تاج الهلال

وابن نصر شمس فلك

فى ضياء وجمال

دام فى رفعة شان

آمنا وقت الزوال

وعلى جانب القبة الأيسر:

وأنا فخر لصلاة

سمت سمت السعادة

تحسب الإبريق فيها

قايما يقضى عبادة

كلما تفرغ منها

وجفت فيها الإعادة

وبمولاي ابن نصر

شرف الله عباده

قد نماء سيد الخز

رج سعد ابن عباده

ويفضى بهو البركة من الناحية الشمالية، إلى أعظم أبهاء الحمراء وهو:

بهو السفراء أو بهو قمارش^(١):

أروع ما فى هذا البهو زخارف قمته التى احتفظت بنقوشها الأصلية، أما نقوش الجدران، فمع جمالها ليست إلا تجديداً مقلداً لنقوشها القديمة، وقد نقشت فى عقد باب بهو السفراء العبارات الآتية: «الحمد لله على نعمة الإسلام، وعز لمولانا أبو الحجاج عز نصره».

ونقشت الأبيات الآتية فى جانب العقد الأيمن بعد عبارة «الحمد لله»:

فقلت الحسان بحليتى وبتاج

وهو إلى الشهب فى الأبراج

يبدو إناء الملك فحى كعابد

فى قبلة المحراب قام يناج

ضمنت على مر الزمان مكارمى

ذى الاوام وحاجة المحتاج

فكأننى استقربت آثار الندى

من كف مولانا أبى الحجاج

لا زال بدرًا فى سمائى لايحا

ما لاح بدر فى الظلام الداج

(١) يسمى أيضاً قاعة السفراء، وقمارش جمع إسباني للفظ قمرية، وهى المنور الصغير المزين بالزجاج الملون.

ونقشت الأبيات الآتية على جانب العقد الأيسر بعد عبارة «الحمد لله»:

وقمت أتأمل صانعى ديباجى

من بعد ما نظمت جواهر تاج

وحكيت كرسى العروس وزدته

إنى ضمنت سعادة الأواج

من جاءنى يشكو الظماء فموردى

صرف الزلال العذب دون مزاج

فكأننى قوس الغماء إذا بدا

والشمس مولانا أبو الحجاج

لا زال محروس المهابة ما غدا

بيت الإله مثابة الحجاج

ونقش فى الدائرة العليا للبهو، العبارة الآتية مكررة: «عز لمولانا

السلطان أبى الحجاج».

ونقشت فى أسفل مدار القبة بحروف بيضاء نص سورة تبارك كلها

وأولها: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ

سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ

ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤)﴾ . ونهايتها: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ

أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ

وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (٣٠) .

وعلى جدار المشرفية، وهو الجدار الشمالى للبهو نقرأ هذه العبارة منقوشة فى أعلاه: النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أبى الحجاج أمير المسلمين نصره الله» مكررة مراراً.

ونقش فى محيط البهو شعار بنى نصر: «لا غالب إلا الله». ونقشت الأبيات الآتية فى إحدى فجوات القبة السفلى:

تحريك منى حين تصبح أو تمسى

ثغور المنى واليمن والسعد والأنس

هى القبة العليا ونحن بناتها

ولكن لى التفضيل والعز فى جنسى

جوارح كنت أنقلب لا شك بينها

وفى القلب تبدو قوة الروح والنفس

وإن كان أشكالى بروح سمايها

ففى عدا ما بينها شرف النفس

كسانى مولاي المؤيد يوسف

ملابس فخر واصطناع بلا لبس

وصيرنى كرسى ملك فأيدت

علاه بحق النور والعرش والكرسى

ونقشت فى الفجوات الأخرى مقابل هذه الأبيات العبارة الآتية: «النصر والتمكين والفتح المين لمولانا أبى الحجاج أمير المسلمين أيد الله أمره وعز نصره».

ويؤدى بهو البركة من جهته اليمنى إلى فناء سفلى يعرف بفناء السرو، وقد استحدثه الإسبان وزرعوا فيه بعض أشجار السرو، وإلى جانبه يقع جناح الحمامات السلطانية.

حمامات الحمراء:

يعتبر حمام الحمراء، الواقع إلى جانب السرو، قرب بهو البركة، من أروع الحمامات العربية، فهو تحفة فنية رائعة تتواكب مع فتنه الحمراء. وتشتمل هذه الحمامات على ثلاثة أقسام: الاستراحة، والغرفة الدافئة والغرفة الساخنة. أما الاستراحة، ويسمىها الإسبان قاعة السريرين، فتتألف من سريرين أقيما بالطوب فى جانبى القامة، وكسيا بالقراميد ذات الألوان المختلفة، وبأعلى هذين السريرين عقدان صغيران ذات الألوان المختلفة، وبأعلى هذين السريرين عقدان صغيران متجاوران، يقومان على ثلاثة عمد، غاية فى الدقة والرشاقة، اثنان على الجانبين لصق الجدارين، والثالث فى الوسط، وأمام السريرين نافورة مياه، وتعتبر هذه الردهة - وفى العادة - استراحة، يجلس فيها السلطان قبل أن يمضى إلى الغرفة الدافئة، ومن المحتمل لكى يخلع فيها ملابسه، فضلاً عن أنها بعد الفراغ - من الحمام، يجلس بها السلطان بعض الوقت قبل مغادرته.

أما القسم الثانى من الحمامات فهو الغرفة الدافئة وتلى الاستراحة مباشرة، وفيها نجد حوضاً كبيراً، تتصل به أنابيب سفلية، علاوة على أنابيب

أخرى بالحوائط لتدفئة المكان، وكلها تتصل من الجهة الأخرى ببيوت النار، وذلك بطريقة فنية محكمة بالإضافة إلى أنبوبة مستقلة تنشر العطر فى جو الحمام^(١).

ويلى هذه الغرفة، الحجرة الساخنة، وبها هى الأخرى حوض كبير تعله كوة فى الجدار، وبها فتحتان، كانتا فيما مضى منبعاً للماء بنوعيه الساخن والبارد، وبهذه الكوة قشت قصيدة من ستة أبيات، من نظم الشاعر ابن زمرك، وهذه الأبيات هى:

أعجب شىء حادث أو قديم

مرابض الأسد بيت النعيم

من أسد قابله مثله

قاما لدى المولى مقام الخديم

تقاسما وصفى علاه فمن

باس له جام وجود عميم

يفيض ذا عذبا برودا وذا

ضد له فهو يفيض الحميم

هذا وكم من عجب عاجب

يسره سعد المقام الكريم

(١) د. محمد كمال شبانة: شواهد من الفن المعماري الأندلسي فى عصر السلطان أبى الحجاج يوسف (٧٣٣ - ٧٥٥هـ). منبر الإسلام، يوليو، ص ١٥٩ - ٦١٤.

من كأبى الحجاج سلطانا

لا زال فى نصر وفتح عظيم

وبهذه الحمامات بعض النقوش الخطية الأثرية بنى نصر «ولا غالب إلا الله» ومنها حكم سائرة من مثل «الله عدة بكل شدة»، ومنها دعاء لمنشئ هذا الجناح من الحمراء مثل: «عز لمولانا أبى الحجاج» ومنها آيات كريمة كقوله تعالى: «نصر من الله وفتح قريب».

وتشير بعض النقوش والزخارف الكتابية إلى دور ابن الحجاج فى إكمال ما نقص من بنيان هذا الحمام.

قاعة الأختين:

تقع شرقى بهو (فناء) البركة قاعة الأختين، ونصل إليها من باب الفناء الشرقى من رواق مظلم وقيل أنها سميت بهذا الاسم لاحتواء أرضها على قطعتين متساويتين وفريدتين من الرخام. وقد نقش عند مدخلها بالخط الكوفى «ولا غالب إلا الله» مكررة، ونقشت هذه العبارة أيضاً حول جدرانها فى أسفل وأعلى، ونقش تحتها بعض الأبيات المقتبسة من قصيدة الوزير ابن زمرك^(١).

ويحيط بقاعة الأختين عدة شرفات، الشرفة الرئيسية تسمى منظره داراشا أو ليندراشا ويقال أن الأولى تحريف لدار عائشة، والثانية لعين دار عائشة^(٢).

(١) نفح الطيب: ج٤ ص ٧٠٥ - ٧٠٩ طبعة بولاق، تراجع القصيدة كاملة.

(٢) المقصود من «عين» هنا - المنظرة (د. مؤنس)

بهو الأسود:

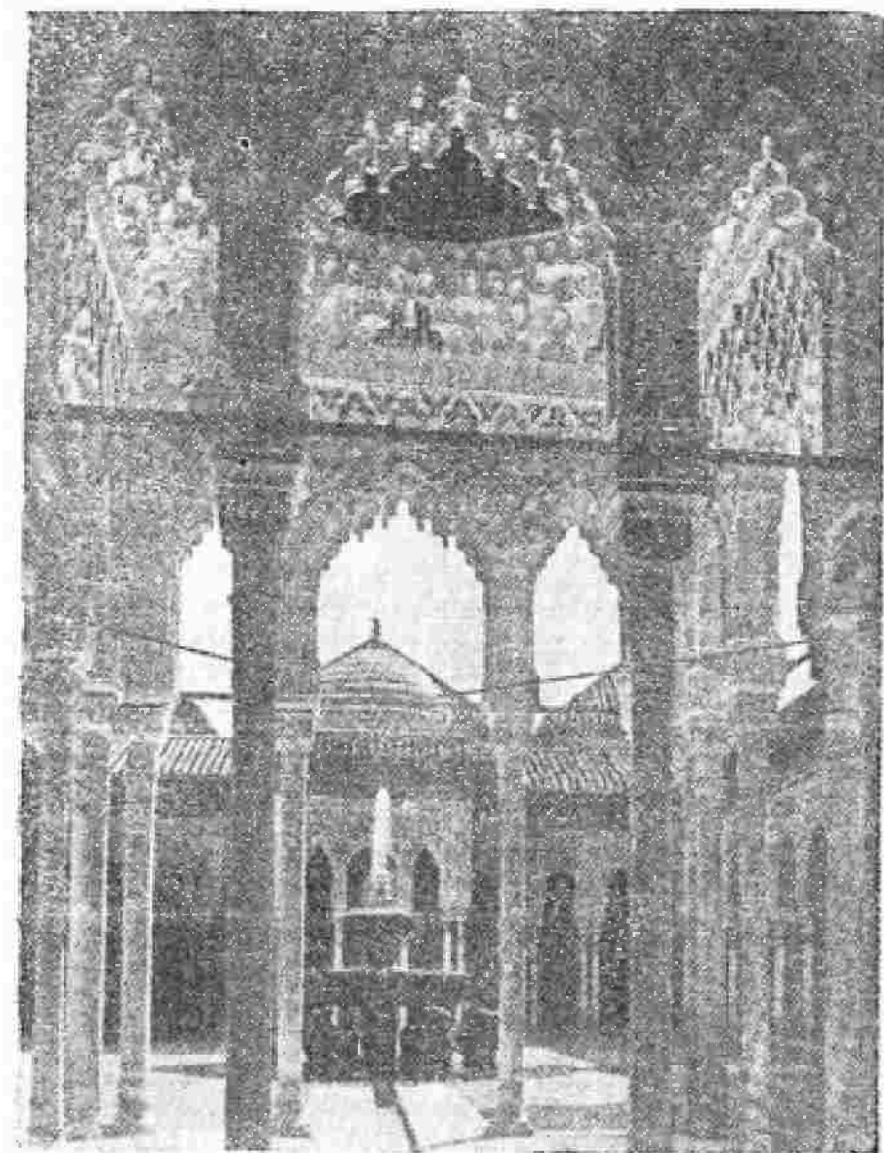
وتؤدي قاعة الأختين من بابها الجنوبي إلى أروع أجنحة الحمراء - بهو الأسود أو بهو السباع. وقد أنشأه السلطان محمد الغنى بالله الذى تولى السلطنة فى عام ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م وتوفى سنة ٧٩٣هـ / ١٣٩١م، ويقابلنا اسمه فى كثير من مواضع هذا الجناح.

وشاءت الظروف أن يظل هذا القصر سليماً لم يلحقه التدمير الذى أصاب العمائر الإسلامية بالأندلس عقب استرداد المدن الإسلامية وذلك لأنه اتخذ مسكناً للملكين الكاثوليكين فرناندو وإيزابيلا عقب سقوط غرناطة عام ١٤٩٢م فى يدهما^(١).

وزائر هذا البهو يصل إليه من باب صغير مفتوح فى الجدار الفاصل بينه وبين بهو الرياحين (البركة) الذى كان المقر الرسمى لسلطين بنى الأحمر حيث كانت تقام حفلات الاستقبال فى قاعة السفراء ببرج قمارش على الفناء المشتمل على بركة مستطيلة محاطة بشجر الريحان فإذا عبرنا هذا الباب وجدنا أمامنا بهو السباع وهو القصر الخاص بسكنى السلطين. شيده السلطان محمد الخامس (١٣٥٤ - ١٣٥٨ - ١٣٦١ - ١٣٩١)، كما تدل على ذلك النقوش الكتابية التى تزين الجدران.

البهو عبارة عن فناء يحيط به ممر ومن خلفه القاعات والغرف. الفناء مستطيل تبلغ أبعاده - ١٢٦ × ٧٣ × ٢٢,٥ قدمًا وتتوسطه نافورة بلغت شهرتها الآفاق وهى نافورة السباع. وهى تبدو كقطعة كبيرة من الرخام قطرها

(١) جمال محرز: بهو السباع بقصر الحمراء بغرناطة. المجلة التاريخية المصرية.



ساحة السباع

١٠, ٥ قدمًا وعمقها قدمان ويدور حول حافتها العليا من الخارج نقش عربى فى أبيات من الشعر لابن زمرك سنذكرها فيما بعد. ويحمل هذه القصعة اثنا عشر أسدا ارتفاع كل واحد منها قدمان ونصف تمج الماء من أفواهها حيث تنساب فى قنوات تصل إلى نافورتين إحداهما بغرفة ابن سراج والأخرى بغرفة الأختين، كما تصل أيضاً إلى نافورتين أسفل الكشكين وبكل كشك نافورة من الرخام.

ويصل الماء إلى قصر الحمراء من نهر حدرة، وهو عمل هندسى راق يدل على براعة المهندسين المسلمين إذ استطاعوا أن يرفعوا الماء من أسفل الجبل إلى قمته فأحالوا تلك المنطقة إلى جنة خضراء.

ويحيط بالبناء عمد تبلغ ١٢٤ عموداً موزعة حولها فرادى أو مثنى أو ثلاث أو رباع، وجميعها من الرخام الأبيض، ويبلغ طول العمود الواحد عشرة أقدام، وتمتاز برشاقتها، وتقرأ أحياناً فوق تيجانها عبارة «ولا غالب إلا الله» شعار بنى الأحمر. وبالفناء كشكان، كشك بكل ضلع، وارتفاع كل منهما ٢٩ قدمًا، ويتكون من ١٢ عقدًا من المقرنصات يحملها ٢٠ عمودًا ذوات تيجان مزينة بنقوش كتابية ومزخرفة بالجص المخرم. وقبة الكشك نصف كروية ومزخرفة بمتشابكات من نجوم وأشكال متعددة الأضلاع.

ومن خلف هذين الكشكين والأعمدة المقامة حول الفناء ممر عرضه ٧, ٥ قدم، ويدور حول الفناء ومن ارتفاع واحد كورنيش من الخشب المزخرف الذى يحمل الحائر (الررف) المجمول على كوابيل مزخرفة.

وفى الفناء طائفة من النقوش التى كتبت بالخط النسخ أو الكوفى على الجدران والعمد والنافورة، وسنذكرها:

نقش شعار بنى نصر «ولا غالب إلا الله» بالنسخ والكوفى، فى الجانب القبلى خلف العمدة، وفوق تاج كل عمود من العمدة التى تحمل القبة، وكذلك على رءوس جميع العمدة الأخرى. ونقشت العبارة الآتية على كل عمود ثان «عز لمولانا السلطان أبى عبد الله الغنى بالله».

ونقش على العمدة التى تحمل القبة المواجهة (البحرية) «ولا غالب إلا الله» ونقش على رءوس العمدة فى المجموعتين الآخرين «عز لمولانا السلطان أبى عبد الله الغنى بالله».

وإلى جانب هذه الأدعية التى تمجد ذكرى أبى عبد الله منشئ هذا البهو نقشت قصيدة فوق دائرة قصعة النافورة التى تحمل الأسود، وتضم اثنى عشر بيتاً، وهى للوزير الشاعر ابن زمرك^(١):

تبارك من أعطى الإمام محمداً

مغانى زانت بالجمال المغانيا

وإلا فهذا الروض فيه بدائع

أبى الله أن يلقى لها الحسن ثانياً

(١) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك (١٣٣٣ - ١٣٩٠) ولد فى رياض البيازين بغرناطة، وزير من كبار الشعراء والكتاب بالأندلس، ولد بغرناطة، وتلمذ لسان الدين بن الخطيب، جعله محمد الخامس الغنى بالله صاحب غرناطة كاتم سره، نكب ثم أعيد إلى مكاتنه فأساء إلى بعض رجال الدولة، قتل فى داره رافعاً المصحف وقتل معه خدامه وبنوه. وكان قد سعى فى أستاذه لسان الدين حتى قتلوه خنفاً، فلقى جزاءه. جمع السلطان ابن الأحمر شعره وموشحاته فى مجلد ضخيم سماه «البقية والمدرك من كلام ابن زمرك»؛ وانتشر الكتاب فى الأندلس والمغرب؛ ونقل عنه المقرئ وأطال فى نفع الطيب وأزهار الرياض.

ومنحوتة من لؤلؤ شق نورها
تجلى بمرفض الجمان النواعيا
يذوب لجن سال بين جواهر
غدا مثلها فى الحسن أبيض صافيا
تشابه جار للعيون بجان
فلم ندر منهما كان جاريا
ألم ترى أن الماء يجرى بصفحها
ولكنها مدت عليه المجاريا
كمثل مخب فاض بالدمع جفنه
وغص بذاك الدمع إذ خاف واشيا
وهل هى فى التحقيق غير غمامة
تفيض إلى الآساد منها السواقيا
وقد أشبهت كف الخليفة إذ غدت
تفيض إلى أسد الجهاد الأياديا
فيا من رأى الآساد وهى روابض
عداها الحيا عن أن تكون عواديا
ويا وارث الأنصار لا عن كلاله
تراث جلال يستخف الرواسيا

عليك سلام الله فأسلم مخلدا

تجدد أعيادا وتبلى أعاديا

وفى منتصف الجانب الجنوبي من بهو الأسود، يقابلنا مدخل قاعة بنى سراج. تلك الأسرة الغرناطية التى كان لها دور هام فى نهاية تاريخ غرناطة الإسلامى.

قاعة بنى سراج:

تعلو القاعة المستطيلة قبة مضلعة وفى جوانبها كوات صغيرة، وقد نقشت فى دائرة القبة الوسطى عبارة «ولا غالب إلا الله» بالنسخ والكوفى، ونقش فى دائرتين فى الجهتين اليمنى واليسرى، بيت شعر من نظم ابن زمرك: فتحسبها الأفلاك دارت قسيها

تظل عمود الصبح إذ لاح باديا

ونقش فى جدار الصدر فى مواجهة الداخل هذان البيتان من نظم ابن زمرك:

تبیت له كف الثريا معیذة

ویصبح معتل النواسم راقیا

وتهوى النجو الزهر لو ثبت به

ولم تك فى أفق السماء جواريا

وفى وسط القاعة حوض نافورة مستدير من المرمر وكان لها منفذ آخر يواجه مدخلها، فسده الإسبان.

قاعة الملوك:

وفى الناحية الشرقية لبهو الأسود، مدخل قاعة الملوك وتعرف أيضاً بقاعة العدل. ومدخلها عقد مثلث الجوانب، وبها ثلاث عقود أو حنايا، رسمت فى سقف الحنية الوسطى منها صور عشرة فرسان مسلمين يلبسون العمام، ويجلسون على الوسائد، وتتسم هيئاتهم بالوقار ويقال أن هذه الصور لملوك غرناطة العشرة الذين تولوا الحكم قبل أبى عبد الله، أولهم محمد الغنى بالله، وآخرهم السلطان أبو الحسن والد أبى عبد الله.

منظرة اللندراخا:

وفى شمال قاعة الأختين، وشمال بهو الأسود، تقع منظرة اللندراخا. نشاهد فى عقد المدخل فجوتين، نقشت بينهما عبارة «ولا غالب إلا الله». ونقشت فى كل منهما أربعة أبيات، تبدأ اليمنى منهما:

كل صنع أهدى إلى جماله

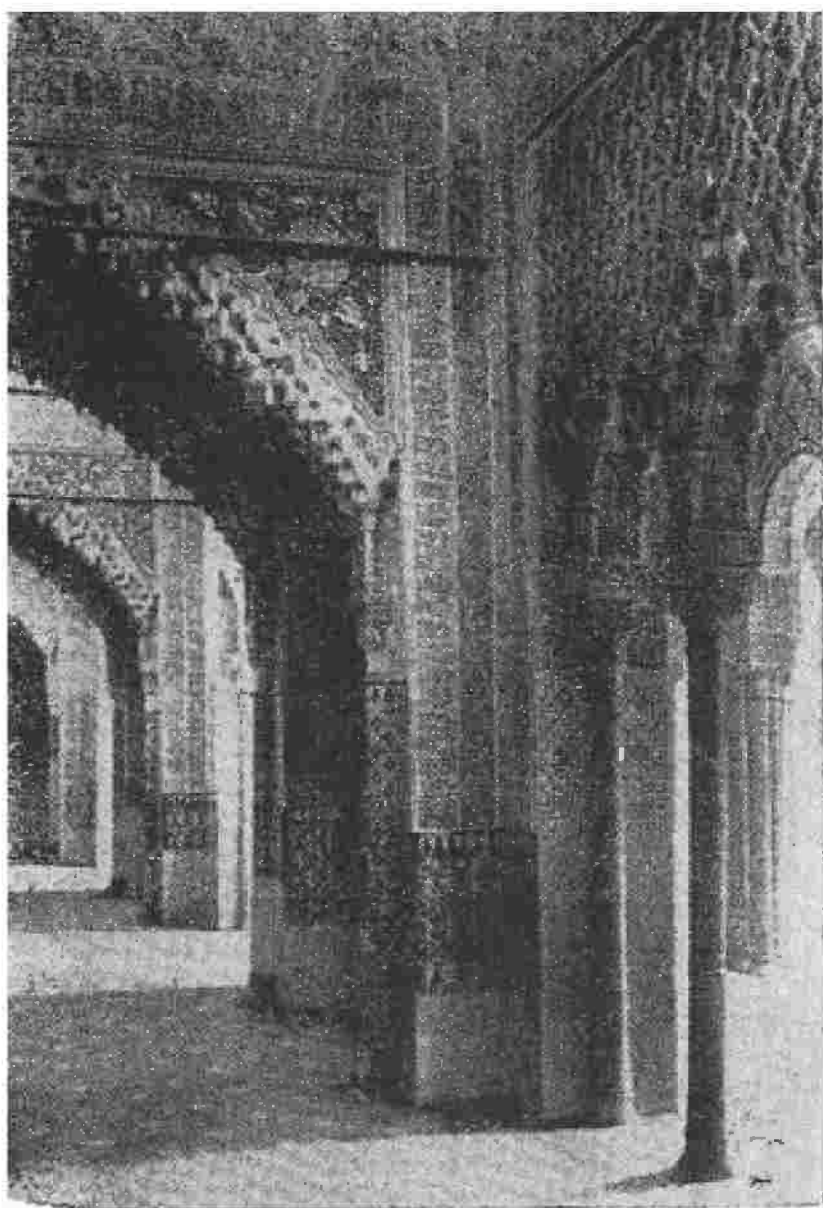
وحنانى بهاء وكماله

من رأنى يظننى كالدنى

تخطب الإبريق تبغى أن تناله

فإذا مبصرى تأمل حسنى

أكذب الحسن بالعيان خياله



قاعة الملوك

ونقرأ فى الفجوة اليسرى:

لست وحدى قد اطلع الروض منى

عجبا لم تر العيون مثاله

ذاك صرح الزجاج من قدر رآه

ظنه لـجـة تروح وهاله

كل هذا صنع الإمام ابن نصر

حرس الله للملوك جلاله

آله فى القديم حازوا المعالى

وهم آووا النبى وآله

ونقش تحت هذه الأبيات «عز لمولانا السلطان أبى عبد الله بن مولانا
السلطان أبو الحجاج».

ونقشت حول النافذتين اللتين بالرواق، قصيدة من اثنى عشر بيتاً:

وجاء بها يراد الهواء نسيمها

فصحت هواء والنسيم قد اعتلا

وقد حزت من كل المحاسن غاية

تقبس عنها الشهب فى الأفق الأعلى

وإنى بهذا الروض عين قديرة

وإنسان تلك العين حقاً هو المولى

محمد المحود بالبأس والندى

وذو الصيت ما أعلى وذى الهدى ما أملى

تجلى بأفق الملك بدر هداية

فآثاره تعلو وأنواره تجللا

وما هو إلا الشمس حلت بمنزل

أفىء عليه كل خير به ظلا

يطالع منى حضرة الملك كلما

تجلى بكرسى الخلافة ما استجلى

ويرسل طرف الطرف فى ملعب الصبا

فيرجع مرتاح المعاطف قد كلا

منازل فيها للعلون منارة

تقيد منها الطرف أو تعقل العقلا

وأبدى بها أفق الزجاج عجائبا

تخط على صفح الجمال وتستملا

تعدد فيها اللون والنور واحد

فإن شئت قل ضد، وإن شئت قل مثلا

ونقش على صحن نافورة اللندراخا قصيدة من تسعة عشر بيتًا،

مطلعها:

أنا حقا فلم الماء بدا

للأنام ظاهرا لم يحجب

لجة عظيمة ساحلها

من بديع المرمـر المتـخـب

متزين الملكة:

بقى أن نذكر أن هناك رواقاً بين قاعة الأختين وبين منظره اللندارخا، بهب باب يؤدي إلى ساحة مستطيلة، أنشئت أيام الإمبراطور شارلمان، وفي هذه الساحة بابان يفضي كلاهما إلى الطبقة العليا التي تقع فوق جناح الحمامات، ويتصل بهذه الساحة رواق ضيق يؤدي إلى «متزين الملكة»، وهو جناح علوى صغير يقع فى نهاية الطرف الشمالى للحمراء، تحت البرج المسمى «برج المتزين»، وهو برج يرجع إلى عصر السلطان يوسف أبى الحجاج، ويحتوى متزين الملكة على بهو صغير منخفض السقف، أنشئ فى القرن السادس عشر بعد سقوط غرناطة، ورسمت على جدرانها صور وزخارف مسيحية، وتطل شرفة المتزين على مدينة غرناطة وعلى مرجها الساحر.

الروضة:

وتقع فى خارج الحمراء خرائب «الروضة»، أو مدفن ملوك بنى نصر، وهى واقعة فى جنوب شرقى فناء السباع، وعلى مقربة من كنيسة سانتا ماريا التى شيدت فوق مرتفع مسجد الحمراء^(١)، كان يقع مسجد الحمراء فى وسط

(١) محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية ص ١٦٥ - ١٧٦.

الهضبة، جنوبي الروضة. وقد أمر بإنشائه السلطان محمد المخلوع المعروف
بمحمد الثالث ملك غرناطة (١٣٠٢ - ١٣٠٩م) وقد بناه على أبداع طراز،
وزوده بالعمد والزخارف والثريات الفخمة، فكان على صغر مساحته من
أفخم مساجد غرناطة^(١). ولما احتل الإسبان غرناطة تركوا المسجد على حاله
عصرًا، بعد أن أقاموا فيه هيكلًا واستعملوه كنيسة، ثم هدم في عام ١٥٧٦م
عصر فيليب الثاني ابن شارلمان، وأقيمت مكانه كنيسة سانتا ماريا ذات البرج
الشاهق الذي يعلو كل صروح الحمراء.

ولم يبق من مخلفات هذا المسجد سوى مصباح برونزي بديع الشكل
والزخرف يحفظ الآن في متحف مدريد الوطني.

جنة العريف:

شيد هذا القصر في أواخر القرن الثالث عشر، ثم جدد وزين على يد
السلطان أبي الوليد إسماعيل ملك غرناطة (حكم ١٣١٤ - ١٣٢٥م).

ويقع هذا القصر في شمال شرقي قصر الحمراء، فوق ربوة مستقلة،
وهو يشرف على الحمراء، وتدخل إليه من مدخل بسيط، نقشت سورة الفتح
على لوحة خشبية كبيرة تحيط بالجزء الأعلى من رواق المدخل. ويؤدي هذا
المدخل إلى ساحة كبيرة، في صدرها مدخل ذو ثلاثة عقود عربية جميلة
الزخارف وقد نقش في مربعاتها القصيدة الآتية:

قصر بديع الحسن والإحسان

لاحت عليه جلالة السلطان

(١) الإحاطة لابن الخطيب ج١ ص ٥٥٤ و ٥٥٥.

راقت محاسنه وأشرق نوره
وهمت سحائب جوده الهتان
رقت يد الإبداع فى أرجائه
وشيا كمثّل أزاهر البستان
فكأن مجلسه العروس تبرجت
عند الزفاف بحسنها الفتان^(١)
وكفاه من شرف رفيع القدر أن
نال اعتناء خليفة الرحمن
خير الملوك أبو الوليد المتقى
من نخبة الأملاك من قحطان
المقتدى بالطاهرين جدوده
أنصار خير الخلق من عدنان
لحقته منه عناية قد جددت
منه جمال مصانع ومبان
فى عام نصر الدين والفتح الذى
هو بالحقيقة آية الإيمان

(١) تصل إلى قصر جنة العريف من طريق طويلة صاعدة تظلّلها الأشجار، ثم تجوز إلى أخرى تظلّلها أشجار السرو الكثيفة.

لا زال معنوا بسعد خالد

فى نور إرشاد وظل أمان

وقد نقشت آية الكرسي فى الجزء الأعلى من هذا العقد.

وفى القصر نقوش عدة متفرقة، فوق عمد العقود، وفى عقود النوافذ،
وفوق الجدران، وفى دوائر صغيرة منها:

لا إله إلا الله محمد رسول الله

ولا غـالب إلا الله

العز القائم الملك الدايم لله

الغـبـطة المتـصلة

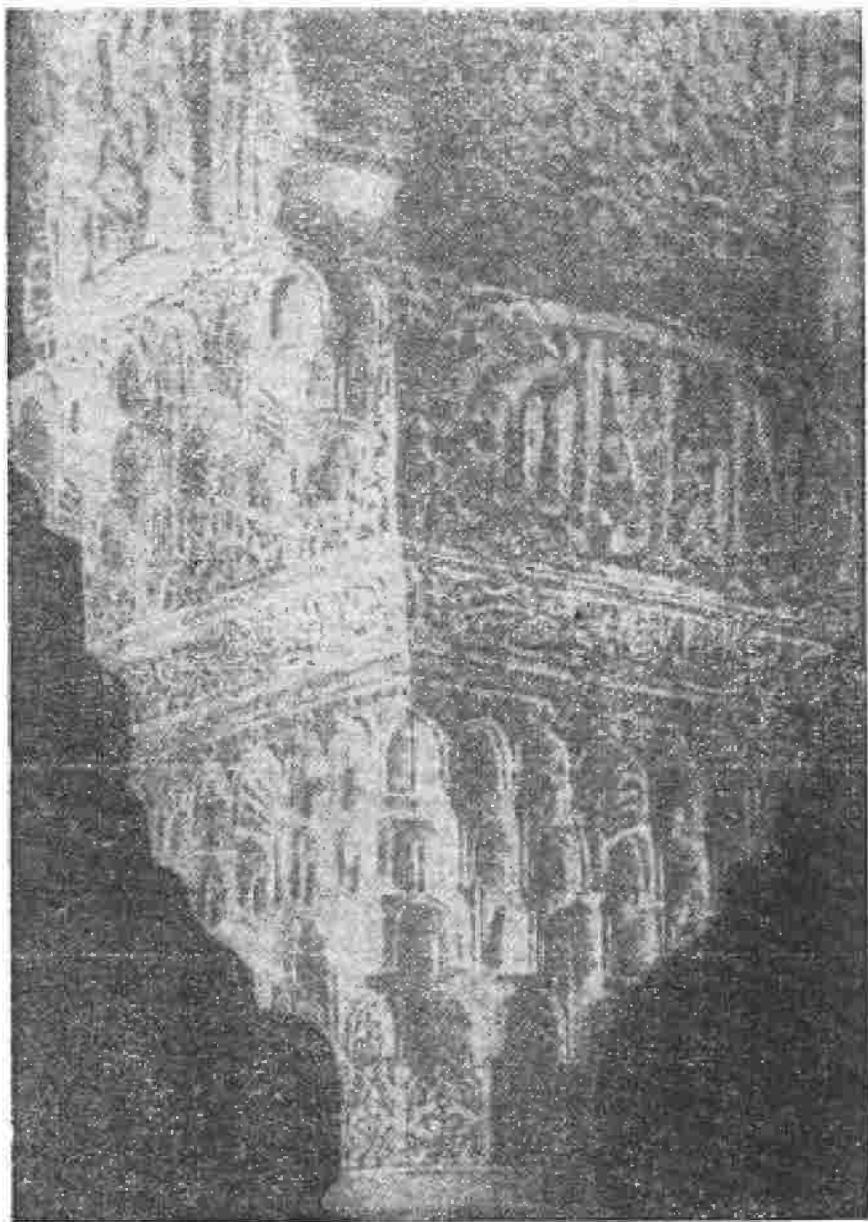
الحمد لله على نعمة الإسلام

الملك لله وحده

وفىما يبدو كان قصر جنة العريف مصيفاً أو متنزهاً لسلاطين غرناطة
يقصدونه للاستجمام والاستمتاع بجمال موقعه، ويلجأون إليه لتمضية أوقات
فراغ ومتعة.

إن آية فن الحدائق عند المسلمين هى حدائق جنة العريف. . هى شىء
رائع من أشجار الحور والأزهار والورد من كل صنف ولون وشجر الريحان
ووسط كل ذلك تقوم برك الماء والنوافير. .

إن ما ذكرناه يتعلق بالطبقة السفلى من قصر جنة العريف. ولكن الملكة
«إيزابيلا» ملكة قشتالة قامت بعد الاستيلاء على غرناطة سنة ١٤٩٢م؛ بإنشاء



تاج واحد من عمد الحمراء
عليه نقش كتابي «لا اله الا الله»

طبقة عليا فوق البناء الأندلسي، تتكون أيضاً من رواقين طويلين، ومن جناحين متقابلين في الشمال والجنوب، ذات سقوف مضلعة، على طراز عصر الأحياء. وكان الجناح الشمالي يضم متحفاً فيه عدة صور تاريخية لبعض ملوك قشتالة، والملكين الكاثوليكيين «فرناندو» و«إيزابيلا»، وصورة يقال إنها صورة أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن آخر ملوك الأندلس. وقد استمر هذا المتحف قائماً حتى عام ١٩٢١م. ويغلب اليوم الخراب على الطابق الأعلى من قصر جنة العريف وقد نزعت نوافذه ولكن القصر الأندلسي الأصيل ما زال بالرغم من هذا التشويه يبدو بطرازه العربي أخذاً رائعاً^(١).

البرطل:

يطلق لفظ البرطل على مجموعة من المباني بقصر الحمراء شرقي بهو السباع وهي تتكون من برج السيدات يلاصق قاعة أمامها رواق. وأما هذه المجموعة بركة ماء. ويلاصق البرج عدة منازل صغيرة من الجهة الغربية، وفي المنزل الأول منها رسوم جدارية، ويقابل البرطل في اللغة الإسبانية El Parcal وفي الإنجليزية Portico وقد بحث رسوم البرطل طائفة من علماء الآثار، كان من بينهم الدكتور جمال محرز^(٢) بعد عملية ترميم لأنه كان آيلاً إلى السوق. وتوضح هذه الرسوم مناظر صيد وفرق الجنود بملابسهم وسلاحهم وزخارف هندسية جميلة.



(١) د. محمد عبد الله عنان: قصر جنة العريف. مجلة قافلة الزيت في شوال عام ١٣٩٠.

(٢) د. جمال محرز: الرسوم الجدارية أو الإسلامية في البرطل بالحمراء، مدريد ١٣٧٠هـ/

١٩٥١م.